مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 13 / العـــدد: 02 (2023)، ص 352 - 369

دور الضمير في صنع الإحالة وتحقيق تماسك النص الشعري
شعر محمد القوجيلي نموذجا

The Role Of The Pronoun In Making Referral And achieving The Cohesion Of The Poetic Text
The Poetry of Mohammed Al-Qujili Example

مرداس بشير*
جامعة بلحاج بوشعيب –عين تموشنت (الجزائر)
merdasbachir@gmail.com

محمد نجيب مغني صنديد
جامعة بلحاج بوشعيب –عين تموشنت (الجزائر)
marni.sandid79@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/09 تاريخ القبول: 2023/05/01

ملخص:

يستدعي البحث في مجال اللّسانيات النصيّة الإلمام بمجموعة من المفاهيم المفاتيح في هذا المجال البحثي، كالتماسك النّصي، والانسجام.

هذا وتعتبر الإحالة من بين أهمّ المفاهيم في لسانيات النّص؛ نظرا لارتباطها بتماسك النّص، وإسهامها في عمليّة بناء النّص شعراً كان أم نثراً، حيث عملنا على تبيان البنية الإحالية للضمائر لاعتبارها الوسيلة الأكثر قوّة في صنع التماسك الدّلالي للنّص الشعري وتجسيد وحدته العامّة، ولدورها في خلق استمراريّة بين وحدات القصيدة، باعتبارها تقرن بين الربط الرصفيّ والربط المفهوميّ، أي الجمع بين ما هو لفظي وما هو معنويّ.

الكلمات المفتاحية: التماسك النّصي / الإحالة / المرجع / العناصر الإشارية / العناصر الإحالية.

Abstract:

Research in the field of textual linguistics requires familiarity with a set of key concepts in this field of research like text cohesion and Coherence.

Reference is one of the most important concepts in the language of the text; as it is linked to the consistency of the text, and her contribution to the process of building the text poetic or prose, we worked to identify the reference structure of pronouns as the most powerful means in making semantic cohesion of poetic text and embodying its totals unity, and its role in crating continuity among the poem's units, as it combines pavement with conceptual connectivity, that is; the combination of the verbal and moral workers.

Keywords: text cohesion / reference / referral / indicative elements/ Referral item.

* مرداس بشير.

1. مقدمة:

يعتبر النص حدث اتصالي، ووحدة لغوية تجمع بين عناصرها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على خلق نوع من التماسك والانسجام بين تلك العناصر، وهذا ما يجعل النّص كلّا مترابطا ومنسجما، كما يؤدي الفصل بين هذه العناصر الداخليّة أو اسقاط أيٍّ منها، او إغفال أيّ علاقة إلى العجز عن إثبات الوحدة الكليّة للنّص، أو التماسك والانسجام الدّلاليين للنّص، سواء أكانت هذه العلاقة داخليّة أم خارجيّة؛ ومن هنا نجد أنّ التحليل النّصي المعاصر صرح يحقق لنا ذلك.

وبما أنّ التماسك يعتبر من أهمّ معايير التحليل النّصي، باعتباره يمكّننا من معرفة مدى ترابط جمل النّص بعضها ببعض، والانتقال من جملة إلى أخرى بانتظام وجماليّة؛ وحيث تعدّ الإحالة أهمّ وسيلة يتحقق بها تماسك النّص، ويتحقق بها الانسجام اللغوي، حيث تلعب الضمائر دورا هامّا في صنع العلاقات الإحالية داخل النّص، ولأهميّتها في عمليّة الإحالة النصيّة ودورها في الترابط النّصي فقد وقع عليها اختيارنا لاكتشاف وظيفتها في صنع الإحالة وتحقيق تماسك النّص الشعري من خلال دراسة نماذج شعرية للشاعر الجزائري الملّقب ب القوجيلي.

وقد حاولت من خلال هاته الورقات البحثية المختصرة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات منها: ما معنى التماسك النّصي؟ وما مفهوم الإحالة، وبم تحقق؟ وكيف تسهم الإحالة بالضمائر في تحقيق تماسك النّص الشعري؟

بحيث يهدف البحث إلى الكشف عن دور الإحالة بالضمائر في تحقيق تماسك النّص الشعري، وكيف تسهم في بناء دلالته، وصنع كليته النصيّة.

2. التماسك النّصي ومظاهر تجلّيه:

1.2 . مفهوم التماسك النّصي:

تدّل المادة "م.س.ك" في اللغة على حبس الشيء أو تحبسه، كما تدّل على التعلّق بالشيء فيقال للبخيل ممسك لحبسه المال وتعلّقه به، والـمَسَكُ السّوار لتعلّقه باليد[1].

ويأتي التماسك في اللغة مقابلا للتفكّك، وهو بهذا يعني الترابط التامّ، والشدة والصلابة، فقد ورد في الأساس: "أمسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء ومسك وتمسك واستمسك وامتسك. و (أمسك عليك زوجك) وأمسكت عليه ماله: حبسته، وأمسك عن الأمر: كفّ عنه. وأمسكت واستمسكت وتماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها. وغشيني أمرٌ مقلق فتماسكت. وفلان يتفكّك ولا يتماسك، وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك، وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك. وحفر في مسكة من الأرض: في صلابة"[2].

وفي تاج العروس: "وفي صِفَتِه صَلّى اللهُ عليهِ وسَلّمَ بادِنٌ مُتَماسِكٌ أَرادَ أَنّه مَعَ بدانَتِه مُتَماسِكُ اللَّحْم ليس مُسترَخِيَه ولا مُنْفَضِجَه، أي أَنَّه مُعْتَدِلُ الخَلْقِ كأَن أَعْضاءهُ يمْسِكُ بعضُها بعضًا"[3].

وفي اللسان: "المِسِيك من الأَساقي التي تحبس الماء فلا يَنْضَحُ وأرض مَسِيكة لا تُنَشِّفُ الماءَ لصلابتها وأَرض مَساك أيضًا"[4].

وعلى هذا سائر المعاجم، فلفظ التماسك فيها يتوجه إلى الدلالة على الصلابة والمتانة، وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

ولا يبتعد المفهوم الاصطلاحي للتماسك كثيرا عن معناه اللغوي حيث يقصد به عادة ذلك التعلّق الشديد بين الأجزاء المشكلّة لنص (خطاب) ما وترابطها بعضها ببعض، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغوية (الشكليّة) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته[5].

كما نجد مصطلح (Cohesion) عند 'هاليداي' و'رقية حسن' (Halliday & Rukaya Hassan) متضمن علاقات المعنى العام لكلّ طبقات، والتي تميّز النّصي من اللانّصي، ويكون علاقة متبادلة من المعاني الحقيقية المستقلّة للنّص مع الآخر، فالتماسك (Cohesion) إذن لا يرّكز على ماذا يعني النّص بقدر ما يرّكز على كيفيّة تركيب النّص باعتباره صرحا دلاليّا[6].

وهذا يعني أنّ مصطلح (Cohesion) يشير حسب الباحِثيْن إلى كلّ علاقات الترابط التي تسهم في تماسك وتلاحم أجزاء النّص حتّى يصبح كلّا موّحدا على المستوى الدّلالي.

أمّا دي بوجراند فيرى أنّه "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السّطحيّة (Surfacé) على صورة وقائع يؤدي السّابق منها إلى اللّاحق... بحيث يتحقق لها الترابط الوصفي (Connectivity Sequential) وبحيث يمكن استفادة هذا الرابط ووسائل التضامّ تشتمل على هيئة نحويّة للمركبات (Ph Mases) والتراكيب (Clauses) والجمل... على أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائيّة والأدوات (Proforms) والإحالة المشتركة (Ca References) والحذف والروابط (Jancitions)"[7].

ومن الواضح أنّ 'دي بوجراند' يرى أنّ الاتساق يتجلّى في الروابط الشكليّة التي تسهم في تلاحم وترابط النّص على المستوى النحوي.

وقد وافقه في طرحه هذا سعد مصلوح؛ حيث يرى أنّ مصطلح (Cohesion) الذي ترجمه إلى (السّبك) يختصّ "بالوسائل التي تتحقق بها خاصيّة الاستمراريّة في ظاهر النّص وتعنى بظاهر النّص الأحداث اللغوية التي تنطلق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كمّ متّصل على صفحة الورق"[8].

كما لم يبتعد عنهما صلاح فضل الذي يرى أنّه "خاصيّة نحويّة للخطاب تعتمد على علاقة كلّ جملة منه بالأخرى وهو ينشأ غالبا عن طريق الأدوات"[9] في حين أسماه عثمان أبو زيد ب "التعالق الأفقي" وعرفه بأنّه "ترابط بين الوحدات النصيّة الصغرى وبين اجزائه"[10].

إذا التماسك شرط أساسي في المجموع يكون كلّا موحدا، وهو مفهوم لا يحدث إلّا بوسائل يقول عنها "ألفريد روتجيه" (Uilfrid Rotgé) "كلّ الأدوات النسقية النحوية العاملة التي تجيز ربطه قطعة بقطعة أخرى، وتعلب دور الجامع الاتساقي في النّص"[11] فنحن نحصل على نص ما عندما يمتلك هذا النّص مجموعة من الوسائل الاتساقية التي تشتمل على انتقالية الكلمات إلى الجمل، والجمل إلى نصوص.

وبالتالي يعني الاتساق ذلك الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة[12]، حيث تتآزر التراكيب والعناصر لتشكل وحدة متآلفة، ومتناسقة، متسقة، بما تلعبه مختلف الروابط من دور في تلاحم الجمل بعضها ببعض في أنظمة متماسكة هو حقيقة اللغة[13].

والاتساق هو أحد المعايير النصيّة السبعة بل هو أهمها، فنجده مظهرا لدراسة المنهج النّصي، كما نجده عاملا من العوامل الأساسية لديناميكية المجموع. فالاتساق هو القوة فيه باعتباره "الغراء الذي تمتلكه القطعة المكتوبة الموحدة بكلمات أخرى، تكون القطعة متسقة إذا التصقت مجتمعة من عبارة إلى عبارة ومن فقرة إلى فقرة"[14].

فالتماسك الحادث بين مختلف التراكيب والجمل والفقرات؛ يسهم في صنع المعاني التي يريد المتكلم أو الكاتب أن يضيفها لكلامه، ويتكوّن من خلال ذلك أيضا النّص، الذي يؤدّي معنى عامّا أو كاملاً، سواء كان هذا النّص نثراً أو شعراً.

لهذا اهتمّ علم اللغة النّصي تمحيصا وتفصيلا وتأمّلا بالتماسك النّصي بمختلف أشكاله وملامحه موزّعا ومتنوّعا في أطر كثيرة، استمدّت قوّتها لا من علم اللغة النّصي، ولا من نحو النّص فحسب، بل من علوم كثيرة، ومن هنا تنوّعت تلك الوسائل.

2.2 مظاهر تجلّي التماسك النّصي:

أ يتجلى التماسك النّصي في مجموعة من المظاهر نلخصها فيما يأتي[15]:

1- الترابط الموضوعي: بمعنى أن يعالج قضية معينة، أو يتكلم عن موضوع محدّد وهذا يقتضي تجنب التناقض بين أفكاره أو الانتقال غير المبرر من فكره إلى أخرى غير مرتبطة بها بصلة منطقيه، حيث يرى براون ويول: أن الوحدة المعنوية من أهم عوامل تحقيق ترابط النص واتساقه.

2- التدرج(Progression): وهو ما من شانه أن يجعل القارئ يحس أنّ للنص مسارا معينا، وأنّه يتجه نحو غاية محدّدة، ويجعله أيضا يتوقع في مرحلة ما من مراحل النص، ما سيأتي بعدها؛ فالنص الذي يبقى في مرحله ما من إنجازه يراوح مكانه، ولا نحس فيه تقدما نحو تحقيق مقصدية كاتبه؛ يعدّ نصّا ناقصا.

3- الاختتام (La clôture): وهذا من منطلق أنّ كلّ كيان لغوي يستوجب أن يتكون من مقدمة وجوهر وخاتمة، والنّص الذي لا يختتم يفقد الكثير من حصافته واتساقه ولا يستطيع قارئه أن يدرك بوضوح غايته.

وفي الأخير لابدّ من الإشارة أنّ الاتساق لا يكون في النّص إلا عبر الأدوات التي تؤدي إلى ترابط النص وتماسك أجزائه. وعرفت اختلافا في تحديدها بين علماء النّص، كما أنّ هناك أدوات رئيسية مشتركة بينهم تؤدي إلى ترابط النصوص وهي[16]:

أ/الإحالة ب/ الاستبدال ج/الحذف د/الوصل هـ/التكرار.

أما الذي وقع عليه اختيارنا منها فهي الإحالة بالضمائر كونها أكثر هذه الأدوات تواجدا في النصوص وهو ما سنحاول تفصيله في بحثنا هذا.

3 الإحالة بالضمير ودورها في صنع تماسك النّص الشعري:

1.3 مفهوم الإحالة :

الإحالة مصدر من الفعل 'أحال' الذي يدلّ على التحوّل ونقل الشيء إلى شيء آخر، نقول: (أحلت الكتاب عن مكانه) أي حوّلت الكتاب عن مكانه. وفي تاج العروس: «أَحَالَ الشيء تَحوَّلَ من حَالٍ إلى حَالٍ أو أَحالَ الرجل تَحَوَّلَ من شيءٍ إلى شيء»[17] وفي لسان العرب: «المحالُ من الكلام: ما عُدل به عن وجهه، وحوَّلَهُ جعله محالاً، وأَحالَ أتى بمُحالٍ، ورجل مِحْوالٌ "كثير مِحال الكلام... ويُقالُ أَحَلْتُ الكلام أُحيلُهُ إحالَةً إذا أفسدْتُه»[18] وتستعمل كلمة أحال

لازمة ومتعدية، وإذا تعدّت فإنّها تعني نقل الشيء من حال إلى حال آخر، أو رفعه وصرفه، وتعني أيضا توجيه شيء أو شخص على شيء أو شخص آخر لجامع بينهما.

كما لا يبتعد المعنى الاصطلاحي للإحالة عن معناها اللغوي فقد عرفت بأنّها إشارة نحوية لعنصر سبق ذكره كما أشار 'دافيد كريستال' في معجمه إلى أنّ مصطلح الإحالة يستخدم في التحليل النحوي "ليعبّر به غالبا عن علاقة التعريف التي توجد بين الوحدات النحوية كأن يحيل الضمير إلى اسم او جملة"[19] وكريستال بتعريفه هذا يربط الإحالة بالمستوى النحوي الشكلي كما أنّه يحدّد طبيعة العناصر الإحالية وهي الضمائر.

وهذا تقريبا نفس ما ذهب إليه 'بريكنر' إلّا أنّه اطلق في بحثه على الإحالة مصطلح (الإعادة الصريحة) وأنّها "تكمن في تطابق الإحالة –تساوي الإشارة– لتعبيرات لغوية معينة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يكرّر تعبير معيّن (كلمة أو ضميمة) من خلال عدة تعبيرات في الجمل المتتابعة لنص في صورة مطابقة إحالية، ويعني مفهوم المطابقة الإحالية (أو التحاول) أشخاصا، وأشياء وأحوالا ووقائع، وأفعالا وتطورا...الخ"[20] وتعريف بريكنر السابق من أشمل التعريفات لمعنى الإحالة حيث اعتبرها نوعا من أنواع الاختصار التي تغني عن إعادة الأسماء بذكر ما يشير إليها وهذا المعنى يصبح أجلى من خلال الأمثلة التي عرضها بعد تعريفه السابق[21].

أمّا الباحثان 'هاليداي' و'رقية حسن' فيشيران إلى استخدام مصطلح الإحالة استخداما خاصّا على اعتبار أنّ "العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، ولابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها وتتوفر كلّ لغة طبيعية على عناصر تملك خاصيّة الإحالة وهي حسب الباحثين: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة"[22].

وعلماء النّص العرب تناولوا كغيرهم موضوع الإحالة، إلّا أنّ الكثير من المؤلفين تجاوزوا تقديم تعريف محدّد لها، ومنهم 'محمد خطابي' و'الأزهر الزّناد' وغيرهم، وقد عرّفها 'نعمان بوقرة' بأنّها "علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات وهي تعني العمليّة التي بمقتضاها تحيل اللفظة على لفظة متقدمة عليها، فالعناصر المحيلة مهما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وصورة الإحالة استخدام الضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق بدلا من تكرار الاسم نفسه"[23]. والباحث في هذا التعريف يركز على دور المرجعية في عملية الإحالة إلاّ أنّه تحدث عن قسم واحد فقط من أدوات الإحالة وهي الضمائر.

ورأت 'عزة شبل' في معرض حديثها عن الإحالة في المقامات أنّ "الإحالة وسيلة من وسائل الربط اللفظي داخل المقامات فهي علاقة دلالية تشير إلى عملية استرجاع المعنى المحال في النص مرة أخرى عن طريق مجموعة من الكلمات ليس لها معنى مستقل في ذاتها ولتحديد معناها المقصود يجب الرجوع إلى الكلمات التي تحيل عليها في أجزاء أخرى من النص"[24].

وعرّفها 'أحمد عفيفي' بقوله: " إنّ الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول...الخ.

حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية. والمتكلم أو الكاتب هو الذي يحمل التعبير دلالة تكشف عن وظيفة إحالية"[25].

والملاحظ أنّ هذا التعريف أعم وأشمل من التعريفات التي سبق ذكرها حيث أشار الباحث إلى العلاقات التي تلعبها الإحالة داخل وخارج النص؛ إضافة إلى تنوع وسائلها اللغوية وغير اللغوية.

2.3 العناصر الإحالية ودورها في فهم الإحالة:

لا يمكن فهم الإحالة دون الإشارة إلى انّ اللغة تحوي نوعين من العناصر يمثّلان قطبي الإحالة وهما: العنصر الإحاليّ والعنصر الإشاريّ؛ حيث على أساسهما تنبني العلاقات الإحالية في النصوص.

1-العنصر الإحالي: معنى العنصر الإحالي "هو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره، وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النص الإحالي"[26].

فكل عنصر يحيل إلى خارجه فهو عنصر إحالي فقولنا: "أشهد أن محمدا رسول الله " يحيل العنصر الإحالي (محمد) إلى خارجه كما يحيل الضمير، وضمير المتكلم لا يختلف عن سائر الأسماء في إحالته على خارج النص؟ يوافق في كل استعمال كائنا واحدا ".

- وتنقسم العناصر الإحالية من حيث نوع العنصر المحال إليه إلى قسمين:

أ-عنصر إحالي معجمي: " يعود على مكون مفسر له يدل على ذات أو مفهوم مجرد، وعدد العناصر الإحالية كبير في المعجم، ونظامه محكم في عمله بإحصاء الضمائر وأسماء الإشارة، وعلامات المطابقة والموصولات الاسمية وكذلك الأحكام الموجودة في نظام كل واحد منهما وفي النظام الذي يجمعها في اللغة —النحو-يثبتان ذلك: فهي عناصر ضرورية في كل ملفوظ "[27].

2-العنصر الإشاري: ويعرّف بأنّه "كلّ مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره"[28] فقد يكون لفظا دالاّ على حدث أو ذات كإحالة ضمير المتكلّم (أنا) على ذات صاحبه، وحينئذٍ يرتبط العنصر الإحاليّ بعنصرٍ إشاريٍّ غير لغويٍّ ممثَّلاً بذات المتكلّم، أو موقع ما في الزّمان نحو:

بعد أسبوع، أمس، غدًا، الآن، الأسبوع الماضي، يوم الجمعة، السّنة المقبلة، منذ شهر... الخ؛ فهذه العناصر الإشاريّة تحدّد زمنًا بعينه بالقياس إلى زمان التّكلّم أو مركز الإشارة الزّمانيّة ().

أو المكان نحو:

- ظروف المكان (هنا، هناك، فوق، تحت...الخ) وأسماء الأماكن... نحو قول القائل:

- أريد أن أعمل هنا.

فهل القائل يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسّسة، أو في هذا المبنى، أو في هذا الجزء من المدينة، أو في هذه الدّولة، أو غير هذه جميعا؛ فكلمة "هنا" عنصر إشاريّ لا يمكن تفسيره إلاّ بمعرفة المكان الّذي يقصد المتكلّم الإشارة إليه واتّجاهه انطلاقا من مركز الإشارة المكانيّة.

كما قد يكون جزءا من ملفوظ أو ملفوظات بأكملها جرى التّعبير عليها ثمّ تعاد الإشارة إليها باختزالها في عنصر إحاليّ يعوّضها، ويتّضح ذلك من خلال تأمّل هذين المثالين فيما يلي:

درسنا اليوم هو الحال وأنواعها، وهذه أمثلته:

- خرج ذاك الصبيّ مسرعا...

يتكشّف لنا من خلال المثال الأوّل إحالة اسم الإشارة (هذه) إحالة بعديّة إلى عنصر إشاريٍّ نصّيٍّ يُفسِّره حيث يتمثّل في الكلام الّذي يليه وهو أمثلته؛ فالعنصر الإشاريُّ هنا جزء من الملفوظ أو قد يكون هو الملفوظ بأكمله، وهذا ما ينسحب على المثال الثّاني.

وقد يكون عبارة عن مفاهيم جرى التّعبير عليها في صورة أسماء مفردة أو مركبات اسميّة تُذكَر صراحة أوّل مرّة في النّص، وبالتّالي فالعنصر الإشاريّ يُشار إليه إشارة أوّليّة بحيث لا يرتبط بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة لأنّه مؤشّر (index) لذاته، وفهمه ليس مبنيّا على غيره من العناصر اللّسانيّة بسبب ارتباطه بالحقل الإشاريّ (deictic field) ارتباطا مباشرا دون توسّط أيّة عناصر إحاليّة أخرى لأنّها تكوّن العناصر الأساسيّة الدّنيا في عالم أيّ خطاب؛ ولذلك فهي ضروريّة الورود لتُجِيز وجود العناصر الإحاليّة[29].

ومن الجدير بالذّكر الإشارة إلى أنّ هناك نوعين من العناصر الإشاريّة وتتمثّل في[30]:

أ-العناصر الإشاريّة المعجميّة: وتتمثّل في الوحدات المعجميّة المفردة الّتي يُحال عليها.

ب- العناصر الإشاريّة النّصيّة: وهي عبارة عن مقطع أو جزء من ملفوظ أو ملفوظ كامل يُحال عليه نحو قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لاَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[31].

نلاحظ احتواء هذه الآية على عناصر إشاريّة معجميّة وعنصر إشاريّ نصّيّ واحد فقط ، وتتمثّل الأولى في(السّماء، نبات، حبّ، النّخل، الطلع، جنّات، الأعناب ، الزّيتون، الرّمّان، الثّمر) ، بينما يتمثّل الثّاني في الملفوظ السّابق على العنصر الإحاليّ وهو ضمير الإشارة (ذلكم) حيث ورد هذا الأخير اختزالاً للكلام واقتصادًا للجهد واجتنابًا للتّكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشاريّة معجميّة ومجموعة أحداثٍ تلتقي كلّها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الّذي يحيل عليه العنصر الإحاليّ الجامع لكلّ ما تقدّم عليه[32].

وفي هذا السّياق يذكر سعيد بحيري أنّ العنصر الإشاريّ النّصيّ "يتميّز عن الأوّل في طبيعة تكوينه والهدف منه؛ أي أنّ العناصر الإشاريّة النصيّة هي مقاطع من الملفوظ قد تطول وقد تقصر، وقد تمثّل جزءا من مقاطع تجري الإحالة عليها للاختصار واجتناب التّكرار، وتتميّز هذه العناصر الإشاريّة النّصيّة عن العناصر الإشاريّة المعجميّة بكونها أقلّ انتشارًا"[33].

3.3 . عوامل الإحالة في النصوص:

تعتبر " الإحالة عامل 'Operateur' بحكم النص كاملا في توازن مع العامل التركيبي والعامل الرمزي "

"والعامل الإحالي أنواع حسب مستويات الربط في النص، وكذلك حسب المدى الفاصل بين العناصر المترابطة وطبيعتها"[34].

1- عامل الإحالة الرئيسي:

عامل الإحالة الرئيسي يحكم وحدة النص، ويحقق التماسك النصي بعودة العناصر الإحالية إليه، وعلى رأس هذه العوامل:

أ-'منتج النص' و 'الكاتب' فهو الجامع الأساسي الذي يضبط النص بكل تفاصيله الرئيسية والفرعية، من خلال قصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد.

ب-'المتلفظ داخل النص' وقد يكون غير الكاتب مثلما نجد في النصوص الحوارية، والقصص القرآني، ويحال إليها بالمضمرات وهي التي تحوّل وتغيّر من اتجاه إلى اتجاه خارج النص أو داخله، وهي عناصر فعالة داخل النص[35].

2- عامل الإحالة الفرعي: وهو يربط بدرجة التركيب في النصوص وهذا العامل الفرعي يتمثل في:

أ- المحال إليه: وهو موجود إما داخل النص أو خارجه من كلمات أو عبارات أو دلالات، وفهمه يقوم على مدى معرفة الإنسان للنص وفهمه، وعدم تمكن المتلقي من الوصول لا يلغي وجود الإحالة في النص.

ب- العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه: والمفروض أن تكون التطابق مجسدا بين اللفظ المحيل والمحال إليه[36]؛ حيث تخضع الإحالة لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[37].

4.3. عوامل الإحالة:

يمكن تقسيم الإحالة إلى عدة تقسيمات اعتبارا من علاقة العنصر الإشاري بالعنصر الإحالي؛ حيث تنقسم إلى قسمين اعتبارا بموقع العنصر الإشاريّ من النّص: إحالة داخليّة (نصيّة) يكون العنصر الإشاري فيها متموقعا داخل النّص، وإحالة خارجيّة (مقامية) يكون العنصر الإشاري فيها خارج حدود النّص[38]. في حين تنقسم من حيث موضع العنصر الإحاليّ من العنصر الإشاريّ داخل النّص إلى قسمين: إحالة قبليّة (على سابق) يشير فيها العنصر الإحاليّ إلى عنصر إشاريّ سابق له في الكلام، وإحالة بعديّة (على لاحق) يشير فيها العنصر الإحاليّ إلى عنصر إشاريّ لاحق له في الكلام[39].

في حين تنقسم من حيث مدى الفاصل بين العنصر الإحاليّ والعنصر الإشاري التابع له إلى قسمين أيضا: إحالة قصيرة المدى لا تتعدى فيها المسافة بين طرفي الإحالة حدود الجملة، وإحالة طويلة المدى تكون فيها المسافة الفاصلة بين طرفي الإحالة جمل متباعدة من النّص، أو ربّما صفحات كاملة من الكلام، ويجدر الإشارة هنا أنّه كلّما كانت المسافة بين طرفي الإحالة قصيرة كلّما كانت قويّة في صنع ترابط النّص وتماسكه[40].

5.3. دور الضمير في صنع الإحالة:

تعتمد الإحالة لتحديد المحال إليه داخل النّص أو خارجه على مجموعة من الألفاظ، والتي سمّاها بعض الباحثين وسائل أو أدوات الاتساق الإحالية أو العناصر الإحالية؛ حيث تحكم المتلقي في فضاءات النّص من أجل تفسيرها فهي لا تملك دلالة مستقلّة بل ترتبط بعنصر أو عناصر أخرى؛ أي أنّنا "نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص بها بل على إسنادها إلى شيء آخر"[41].

وهذه الأدوات متنوعة ومتعددة وتختلف من دراسة لأخرى، ولعل مرجع ذلك إلى الاختلاف في تعريف الإحالة، فكلها اتسع مفهومها كانت أدواتها أكثر، وكلما ضاق المفهوم تقلصت الأدوات، وهنا نجد بعض الدارسين الذين تناولوا الإحالة من خلال الألفاظ الكنائية (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة) فقط رغم اعترافهم بوجود أدوات أخرى كالمترادفات والألفاظ الشارحة[42]؛ إلاّ أنّ جلّ الدراسات التي تتناول الإحالة لا تتطرق لذكر الأدوات بكل أنواعها لأسباب عديدة، منها تجنب التشعب والغموض في الطرح، ومحاولة تبسيط وتوضيح الدراسة بالنسبة للقارئ ولعل ذلك ما جعل أغلب الباحثين يتبنون التقسيم الذي طرحه 'هاليدي' و'رقية حسن' اللذان اعتبرا أن أدوات الإحالة ثلاث أنواع:

- أ/ "الضمائر" - ب/ "أسماء الإشارة" - ج/ "أدوات المقارنة".

وقد أضاف بعض الباحثين العرب متبنين نظرة 'دي بو جراند' أداة رابعة هي الأسماء الموصولة[43].

وتعتبر الضمائر الأداة أو الوسيلة أكثر استعمالا وورودا في النصوص؛ مسهمة في صنع شبكة من الإحالات داخل النصوص، فلا يكاد أي نص يخلو من وجودها لهذا كانت أكثر وسيلة إحالية تناولا في الدراسات النصية، وحرصت على إبراز دورها في تماسك النص فهي حسب 'براون ويول' " أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة إلى كيانات معطاة"[44].

وهي حسب "دي بوجراند" "أشهر نوع من الكلمات الكنائية"[45] ونظرا لما سبق فقد أصبحت الضمائر الأدوات التي لا غنى لأيّ نظرية تناولت الإحالة عن تفسيرها.

والضمائر لغة: ج ضمير، والضمير هو السر، والشيء الذي تضمره في قلبك، والضمير والمضمر بمعنى واحد، من أضمرت الشيء أخفيته"[46]. والضمير اسم جامد مبني، وبسبب بنائه لا يثنى، ولا يجمع، فلا تلحقه علامة الثنية أو الجمع، وإنما يدل بذاته على المفرد أو المثنى أو الجمع (المذكر أو المؤنث)"[47]. "ويقوم الضمير مقام الاسم الظاهر للمتكلم أو المخاطب أو الغائب ويقابله عند الكوفيين مصطلح الكناية أو المكنى"[48]، "وهو أقوى أنواع المعارف ولا يدل على مسمى كالاسم ولا على الموصوف بالحدث كالصفة، ولا حدث وفعل كالفعل. فالضمير كلمة جامدة تدل على عموم الحاضر والغائب دون دلالته على خصوص الغائب"[49].

تنقسم الضمائر إلى أقسام عدة بالنظر إلى اعتبارات مختلفة؛ لكنّنا سنحاول التركيز على ما له علاقة بالدراسة النّصية من أقسام وهي:

أ- بالنظر إلى دلالته، وهي قسمان[50]:

1- ضمائر وجودية: فهي الدالة على ذات مثل: أنا وأنت ونحن، هو، هم، ..... الخ، وتكون للمتكلم أو المخاطب أو الغائب.

2- ضمائر ملكية: وهي دالة إلى ما ينسب إلى الذات وتأتي متصلة مثل: كتابي كتابك كتابه كتابها... الخ وتكون أيضا للمتكلم أو المخاطب أو الغائب.

ب- بالنظر إلى وظيفتها الاتساقية: ذهب "هاليدي" و"رقية حسن" إلى تقسيمها قسمين هما[51]:

1- أدوار الكلام: هي التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص، أي اتساقية إلا في الكلام المستشهد به أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردي، وذلك لأن سياق المقام في الخطاب السردي يتضمن "سياق الإحالة" وهو تخيل ينبغي أن يبنى انطلاقا من النص نفسه، حيث أن الإحالة داخله يجب أن تكون نصية.

2- أدوار أخرى: وهي التي تؤدي دورا هاما في اتساق النص، وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة أفرادا وتثنية وجمعا: (هو، هي، هم، هن، هما) وهي على عكس الأولى تحيل قبليا بشكل نمطي، إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه ويبدو من خلال ما سبق أن الضمائر سواء أكانت وجودية أو ملكية، فإن الدالة منها على المتكلم أو المخاطب تعد من قبيل الإحالة السياقية "التي تساهم في خلق النص" أكثر من اتساقه.

كما تركز الدراسات النصية على ضمائر الغيبة بالنظر إلى دورها في الاتساق النصي حين "نتحدث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة شخص أي الضمير المحيل إلى الشخص أو الشيء فإن صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص".

فمثلا: "الضمير (هو) له ميزتان: الأولى: الغياب عن الدائرة الخطابية. والثانية: "القدرة على إسناد أشياء معينة، وتجعل هاتان الميزتان من الضمير موضوعا على قدر كبير من الأهمية في دراسة تماسك النصوص"[52].

والملاحظ هو أن علماء اللغة النصيين لا يعتمدون كثيرا على ضمائر المتكلم والخطاب في عملية الاتساق النصي، بل يوجهون تركيزهم إلى ضمائر الغياب التي تشير – غالبا – إلى شيء داخل النص، وتكوّن إحالة نصيّة وتجبر المتلقي على البحث في النص عما يعود إليه الضمير، فتحقق بذلك التماسك النّصي.

وتكتسب الضمائر أهميتها في عملية تماسك النص، لأنها تنوب عن الأسماء والأفعال والجمل المتتالية: "فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالة، داخليا وخارجيا سابقة ولاحقة"[53].

ومن خلال الدور الإحالي النصي الذي تقوم به الضمائر يظهر أثر تقسيماتها عند النحويين إلى ضمائر بارزة ومستترة.

ومن حيث الاتصال إلى منفصلة ومتصلة، ومن حيث المدلول إلى ضمائر حضور وضمائر غيبة ومن حيث الجنس إلى مذكر (هو) مؤنث (هي) ومشترك (نحن).

ومن حيث العدد إلى ضمائر إفراد (أنا) وتثنية (أنتما) وجمع (هم). وهذا ما يجعلها قادرة على تخصيص العنصر الإشاري المحال إليه بدقة أكثر من بقية الأسماء الإحالية، دون أن نغفل الدور الذي يلعبه محلل النص في إعادة الضمير المحيل إلى مرجعيته من أجل تفسير النص وإزالة اللبس عنه وتوضيح دلالته، ولا ريب أن اللّبس والإبهام يحول دون فهم النص وتحقيق تماسكه، ومن هنا فإنّ إزالة اللبس عنه تسهم في تقوية ترابط النص وتلاحمه.

وباعتبار ضميري المتكلم والمخاطب راجعين على المشاركين في عملية التخاطب فإنّ عملية تحديد ما يشيران إليه عملية سهلة سلسة، نظرا لعدم إمكانية حدوث اللبس فيهما، ولكن الصعوبة قد تحيط بعملية إحالة ضمير الغائب إلى صاحبه، لأنّ مشاهدته غير ممكنة، فهو يحتاج إلى ما يفسره، ومن هذا المنظور فإنّ ضمير الغائب يقتضي تقدم المفسّر عليه لأنّه لم يوضع معرفة بذاته بل بسبب ما يعود عليه، فإن تم ذكره دون أن يتقدمه ما يفسره بقي مبهما غامضا لا يعرف المراد به حتى يأتي مفسّره بعده وتذكيره خلاف وصفه[54].

ومن الإشارات على الإحالة الضميرية عند القدماء ما ذكره "الزمخشري" عن الضمير في قوله تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنّها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[55]. فالضمير في (أنها) يعود على خطاب سابق موجه إلى بني إسرائيل[56].

مجموع الخطاب خمس آيات وهي من قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ إلى قوله : ﴿وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[57].

6.3. دور الإحالة بالضمائر في تماسك النّص:

يعتبر التماسك النصي نتيجة وليس هدفا ولا وسيلة بالنسبة للمنتج (الكاتب)إذ يسعى إليه المنتج ليسم به أعماله، ويأتي نتيجة للأدوار اللغة المختلفة ابتداء من الحرف إلى أعلى مستوى لغوي وهو من أدوار المتلقي الذي يعمل بدوره آليات الانسجام المختلفة وهو يحاور عناصر اللغة ومقتضيات الخطاب. ويسعى كل من المنتج والمتلقي إلى إبراز الدلالة

بأكمل وجه، فالحديث عن التماسك واسع فطبيعة المنتج والمتلقي بجميع ظروفهما تؤثر في التماسك واللغة وسيلة الطرفين[58].

لذا تعدّ الإحالة من أهمّ الوسائل أن لم نقل أهمّها والتي تحقق للنّص التمامه وتماسكه وتنسج بين وحداته، عن طريق استخدام العناصر الإحالية والإشارية لذا يرى الأزهر الزناد "أن الملفوظ لا يكتمل نصّا إلاّ عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الروابط المختلفة من حيث مداها ومجالها بينما يقف منها عند حدود الجملة ليربط عناصرها.

وما يتجاوز منها الجملة ليصل إلى النصف يربط بين عناصره المنفصلة والمتباعدة من حيث التركيب النحوي. ولكنّ الواحد منهما متصّل بما يناسبه أشدّ الاتصال من حيث الدلالة والمعنى فالإحالة عامل(Operateur) يحكم النص كاملا في تواز مع العامل التركيبي والعامل الزمني"[59].

إذا فالتماسك النصي لا يمكن أن يتحقّق إلاّ إذا توافر هناك تماسك نحوي ودلالي بين العناصر اللغوية المختلفة في النص، ويؤدي استخدام الإحالة والروابط دورا كبيرا في إنتاج نص متماسك ذي بنية منسجمة بالشكل الذي يرتضيه العلماء اللغويون في ميدان علم النص، وهذا الروابط لا يمكن الاستغناء عنها لأن إسقاطها يؤدي إلى تفكك النص وتباعد جمله ووحداته ومكوناته ولا تتحقق السلامة النحوية[60].

إنّ أهمية العناصر الإحالية تكمن في قيامها بمهمة سبك النص(Cohesion) ويتجلّى هذا من خلال قيامها بعملية الربط بينها وبين ما تحيل إليه مقدما كان أو متأخرا، مذكورا أو مقدّرا، في سياق الكلام. وكل هذا يعدّ من قبيل الإحالة النصيّة(الداخلية) فمثلا في قول شاعرنا محمد القوجيلي الجزائري[61]، وهو يمدح المفتي ابن قرواش[62]:

- سَعِدَ الزَمانُ وسَاعَد الإقبَالُ **** والعَيْشُ طَابَ ونِيلَتْ الآمَالُ
- فاهْنَأْ أَبَا عبد الإلَهِ بِحُطَةٍ **** جَاءَتْكَ وهِي لَدَى الزَمَانِ جَمَالُ
- والأَرْضُ قَدْ فَرِحَتْ بما خُوِّلْتُمُ **** مَرحَتْ بَسائطُهَا ومَالَ جِبالُ

نلاحظ في البيت الأوّل كيف يربط ضمير المخاطب (ك) العائد على ابن قرواش في إحالة نصيّة قبليّة وضمير الغائب (هي) العائد على الخطة (يقصد بها وظيفة الفتوى) في إحالة نصيّة قبليّة شطري البيت، وتستمرّ عمليّة الرّبط في البيت الموالي حين يشير الضمير المتصّل في (خوّلتم) إلى شخص ابن قرواش في إحالة قبليّة ربطت معنويّا وتركيبيّا بين البيتين؛ كما نلاحظ أنّ الضمير الغيبة المتّصل في كلمة بسائطها الذي يشكّل إحالة نصيّة على سابق مذكور في البيت الأوّل (الأرض) يربط شطري البيت، ممّا يزيد من فاعليّة الترابط الدلالي داخل النّص.

أما الإحالة السياقية (الخارجية) تمثلّت في دور المخاطب والمتكلّم وعناصر السياق المحيطة بالنص "وكل ما يسهم في تفسير النّص دون أن يكون مذكورا في تركيبه"[63]، فهو من الإحالة الخارجية، حيث يتجلّى ذلك في قول الشاعر في نفس القصيدة:

- -ولَقَدْ ظَنَنْتُ صَلاحَ قَوْمٍ غَرَّنِي **** تَـزْويـقُـهُـمْ فَـإِذَا هُـمْ ضُـلاّلُ
- حَاشَاكَ يا نِعْمَ المِصافي أَن تَرى **** مِنْهُم فَوَصْفُ الغَدْرِ عَنْك مُحَالُ
- فاللهُ يُـبْـقِـي مَـا تَـمَـكَّـنَ بَـيْـنَـنَـا **** مِنْ ذِي المَـوَدَّةِ مَـا اسْـتَـقَـمْـتَ ومَـالُـوا

يبدو جليّا من خلال قراءة صدر البيت الأوّل أنّ ضمائر المتكلم في (ظننتُ) و (غرّني) تعود على الشاعر نفسه الذي لا يمثّل جزءا من الخطاب، كذا الأمر بالنسبة لصدر البيت الثالث فنون الجماعة في (بيننا) يعود جزء منها على

الشاعر الذي تجمعه صداقة متينة بالقاضي ابن قرواش، وبالتالي فالضمائر أشارت إلى خارج النّص مشكلّة إحالة مقامية، وهي وإن لم تسهم في تكوين النّص وصنع تماسكه؛ ربطته بسياق الموقف وتجعل المتلقي يبحث عن طبيعة العلاقة بين الشاعر والقاضي ابن قرواش لفهم ما يريد إيصاله عبر قصيدته، وبالتالي فإنّها تسهم في صنع جوّ من التماسك الدّلالي بتحديد وجهة النّص، باعتبار اللغة تمثل جسرا يربط بين المرسل (الكاتب) و المرسل إليه (المتلقي) والسياق.

وكلتا الإحالتين الداخلية والمقامية تعاونتا في إظهار البنية الكليّة أكثر ترابط وانسجاما، ومن خلال تلك النظرة إلى عناصر الإحالة يمكننا جعل كل ما من شأنه تفسير لسابق أو توضيح للاحق في المتتاليات النصيّة عنصر من عناصر الإحالة داخل النّص حيث شكلّت تلك العناصر استمراريّة ربطت أبيات القصيدة بعضها ببعض، وعملت على ترابط النّص لسانيّا، فمثلا في البيت العاشر من نفس القصيدة السّابقة يقول القوجيلي:

-حتّى خَطَبْتَ فخاطَبَتْكَ على الرِضَى **** وبَدا لَهـا لِمَقَـامِكَ الإجْـلالُ

فالضمير في (خطبت) يعود على ابن قرواش ولابدّ من العودة للبيت الثاني من القصيدة لفهم مرجع الضمير، والعودة إلى البيت الثامن لفهم مرجع الضمير في (خاطبتك) –يعود على منصب الفتوى–ومن هنا يتجلّى دور الضمائر؛ حيث نلاحظ هيمنة ضمائر المخاطَب على القصيدة؛ حيث شكلّت الجمل الحوارية حيّزا واسعا من القصيدة، كما نلاحظ دورها في صنع تماسك أجزاء القصيدة، وربط أبياتها بعضها ببعض.

ولكون الإحالة الوسيلة الأكثر قدرة على إيجاد تماسك وترابط القصيدة وصنع وحدة نصيّة، وذلك لأنّها تعرب بين الرابط الرصفي والرابط المفهومي، أي بين ما هو لفظي وما هو معنوي.

"فالمتلقي يرى أمامه أداة تحيل إلى شيء لا بدّ أن يبحث عنه، إمّا فيما سبق من أجزاء النص في الإحالة القبلية، أو فيما هو آت في الإحالة البعدية، أو أنّ المتلقي يعمل عقله في السياق والمقام في الإحالة إلى غير مذكور، ليوجد ما تصدق عليه الإحالة حدثا وزمانا ومكانا ومنطقا، وعلى هذا تأتي رتبتها في مقدمة تلك الوسائل، لأنها تستغل عقل المتلقي كثيرا في البحث عن مرجع الأداة خلافا للتكرار الذي يعطى أولا الطابع اللّفظي غالبا، وكذلك الاستبدال أو البدل"[64].

إذن نفهم ممّا سبق أهمية الدور الذي يلعبه المتلقي في إيضاح دور الإحالة في تماسك النّص حيث يقوم بوظيفة هامّة تتمثل في فكّ شفرة الإحالة من خلال البحث عن العناصر الإشارية والربط بينها وبين العناصر الإحالية، وهذا ما يسهم في تجلية المعاني، وتوضيح الدّلالات، وإزالة اللّبس والإبهام، فتتحقّق الغاية التي يهدف إليها القارئ، وهي فهم النّص والإحاطة بجميع جوانبه وحيثياته، والوصول إلى المعنى يتطلب الربط بين الوحدات التي تشكل نسيج المبنى، وتعدّ الإحالة أهم هذه الوحدات على الإطلاق.

والإحالة بذلك تكون وسيلة مهمّة من وسائل الاتساق، حيث أنها تحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص. فهناك علاقات معينة إذا توافرت في نص ما تجعل أجزاؤه متآخذة مشكّلة بذلك كلاً موحداً، حيث تعد هذه العلاقات الدلالية مميّزة للنّص باعتباره وحدة دلالية" ومن هنا تأتي أهمية الإحالة في تماسك النص وصنع دلالته[65].

4. خاتمة:

لقد كانت غايتنا من خلال دراسة دور الضمير في صنع الإحالة؛ تبيان الدور الذي تلعبه الإحالة بالضمائر في صنع تماسك النّص، وربط أجزائه بعضها ببعض، حتى صارت أهم وسيلة في بناء النص، وتحقيق رصانته، إلاّ أن هذا لا

يعني إلغاء بقية أدوات الإحالة، أو وسائل الاتساق (الحذف والإبدال، و الوصل والفصل...)، بل الأكيد أن الإحالة تتشارك مع بقية الوسائل في بناء النّص واتساقه.

ورغم أنّ المقام لم يسعنا للتوّسع في درس جميع مباحث الإحالة، والغوص في التفصيلات المتعلقة بها، بسبب محدودية حجم المقال، إلاّ أنّ ما ذكرناه حولها، ومن خلال التطبيق على قصيدة محمد القوجيلي؛ قد توصّلنا إلى نتائج هامّة نلخصها فيما يلي:

أ- الإحالة تعتبر الأداة الأكثر أهمية في تحقيق اتّساق النّص سواء كان النّص نثراً أو شعراً.

ب- تحقيقها لمبدأ الاقتصاد والثبات المعنوي، عن طريق استخدامها للعناصر الإحالية التي تعمل على تفادي تكرار المحال إليه، لتحقق مبدأ الاختصار والإيجاز والتكثيف.

ت-تحقيقها مبدأ الدقة الدلالية، حيث تغني إشارة العنصر الإحالي إلى معنى أو شيء عن تكراره، ومن ثمّ تفادي التناقض والغموض.

ث-تحقيقها لمبدأي التوسع والاقتصاد معا، فالإحالة تقتصد حين تستخدم العنصر الإحالي ليعوض ما سبق ذكره في النص، وتتوسع حين تستخدم العنصر الإحالي للإشارة إلى ملفوظ لم يتم ذكره بعد في النّص حيث تضطر المتلقي على التوسع في القراءة ليتم له الفهم، لتحقق في نفس الوقت قانون الاقتصاد باعتبار العنصر الإحالي أوجد الاختصار بتعويضه لجملة كاملة.

ج- قدرتها على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة، والربط بينها ربطا واضحا، وهذا ما تبيناه من خلال دراسة الإحالة بالضمير في قصيدة "محمد القوجيلي" مما يؤكد على دورها الكبير في تحقيق تماسك النصوص الشعري.

ح- غنى القصيدة بمختلف الضمائر التي أسهمت في صنع الإحالة بنوعيها الداخلي والخارجي، الأمر الذي ساهم في تماسك القصيدة وتشييد بنيتها الدلاليّة.

خ- تميّز البناء اللغوي للقصيدة وإحكامه، ممّا ينمّ عن تميّز الشاعر "محمد القوجيلي" وعلوّ لغته الشعرية، من خلال براعة سبكه لقصيدته في مدح القاضي "ابن قرواش"، والتي لمسناها من خلال دراستنا لتماسك القصيدة.

د- غنى التراث اللغوي الجزائري بالكثير من الأعمال الإبداعيّة لأدباء جزائريين مبدعين؛ تستدعي أعمالهم التفاتة من الباحثين الجزائريين لدراستها ورفع الغطاء عمّا تخفيه من تميّز لغويّ وفنيّ.

5- الهوامش:

[1]_ الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، مر: محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكرياء أحمد جابر، دار الحديث، دط، القاهرة، 2009، ص 1080.

[2]_ الزمخشري أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1998م، ج2، مادة(مسك) ض 213-214.

3_ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس، تح مصطفى حجازي، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام بالكويت، دط، مطبعة حكومة الكويت، 1993م، مادة (مسك)، ج27، ص 337-338.

[4]_ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب وصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1999، ج.11، مادة (مسك) ص 184.

[5]_ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991م، ص 05.

6 _ Cohesion in inglisk-Halliday MAK and Ruquaya Hassam 1976, longman London P : 26 نقلا عن: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1431هـ-2001م، ج1، ص95.

[7]_ روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسن، عالم الكتب القاهرة : 10، 1418هـ-1998م، ص 103.

[8]_ سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مح 10-ع-1-2 جويلية 1991م، ص 154.

[9]_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب عالم المعرفة الكويت، 1978 – (د.ط) ص 235.

[10]_ عثمان أبو زيد، نحو النص ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديثة، (د.ط)، 2009م، الأردن، ص 79.

[11] _Uilfrid Rotge Le point sur la cohesion en Anglais, English linguistics, Sigma, English Linguistics, Anglophinia press Universitaires du Mirail, n°2, 1998, P 187.

[12]_ خوسيه ماريا بوتويلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر حامد أبو أحمد، مكتبة غريب مصدر رقم، د.ط، د.ت، رقم الإيداع 92/3781 ص 213.

[13]_ بشير ايدير، استراتيجية الانسجام في قراءة النص الأدبي قصة سميرة عزام دموع البيع نموذجا، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة الجزائر، (مقال مخطوط) ص 03.

[14]_ ادوارد بليرت، مقدمة في دراسة الكلام، المنصف عاشور سلسلة مسائلات، دار العربية للكتاب، (د.ط)، 1995م، ج1 ص 52.

[15]_ ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، (د.ط)، 2008م، ص : 81-82.

[16]_ نظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 16-25.

[17]_ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس، مادة (ح و ل)، ج28، ص 366.

[18]_ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مادة (حول)، ج28، ص197-198.

[19] _ The Dictionary of Linguistics And Phonetics: David Crystal , Blackwell Publishig, Malden-USA, Sixth Edition, 2008, page : 407

[20]_ بريكنر كلاوس، التحليل اللغوي للنص، تر و تع سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة مصر، ط1، 1425هـ 2005م، ص 34.

[21]_ المرجع نفسه، ص: 39-42.

[22]_ محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 17.

[23]_ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، ط1، عمان الأردن، 2009م، ص 81.

[24]_ عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تق سليمان العطار، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 1430هـ 2009م، ص: 176.

[25]_ حمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، د ط، د ت، ص: 12-13.

[26]_ الأزهر الزناد، نسيج النّص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993م، ص131-132.

[27]_ المرجع نفسه، ص 132

[28]_ المرجع نفسه، ص 127.

[29]_ ينظر: نزار ميلود، نحو نظرية عربيّة للإحالة الضّميرية –دراسة تأصيليّة تأويليّة، مجلّة علوم إنسانيّة، مج7، ع42، 2009م، ص56.

[30]_ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النّص، ص128.

[31]_سورة الأنعام، الآية 99.

[32]_ ينظر: نزار ميلود، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية-دراسة تأصيليّة تداوليّة، مجلة علوم إنسانيّة، مج7، ع42، 2009م، ص 56-57

[33]_ المرجع نفسه، ص 57.

[34]_ الأزهر الزنّاد، نسيج النص، ص 124.

[35]_ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 124-125، وأحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص، ص66.

[36]_ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 125، وأحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص 17.

[37]_ محمد خطابي، لسانيات النص، ص 17.

[38]_ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص118، وصبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي، ج1، ص40

[39]_ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 118-119، وأحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص، ص 177.

[40]_ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 119، وأحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص، ص53.

[41]_ براون جوليان وجورج يول، تحليل الخطاب، تر وتع د.محمد لطفي الزليطي و د. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، دط، 1997م، ص 23.

[42]_ ينظر: روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والأجراء، ص320، وصبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي، ج1، ص 43.

[43]_ ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص، ص 18، وعزة شبل محمد، علم لغة النص، ص 119، أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص، ص، وروبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 32 و322.

[44]_ براون ويول، تحليل الخطاب، ص 256.

[45]_ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 321.

[46]_ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ض م ر)، ج، ص

[47]_ ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف مصر، دط، 1991، ص217-218.

[48]_ ينظر: المرجع نفسه، ص 217.

[49]_ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 122.

[50]_ ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص 23، ومحمد خطابي، لسانيات النص، ص 18.

[51]_ ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص، ص 18.

[52]_ ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 161.

[53]_ المرجع نفسه، ص 137.

[54]_ ينظر: نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق الترابط في النّصّ القرآنيّ، دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، مج13، ع01، 2001م، ص 1069.

[55]_ سورة البقرة الآية: 45.

[56]_ ينظر: الزمخشري أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في صور التأويل، شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، د.ط، ج1، ص126،127

[57]_ سورة البقرة الآية من 40 إلى 44.

[58]_ محمود سليمان حسين الهواوشة، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف، رسالة ماجستير، إشراف ديفايز محاسنة، جامعة مؤتة: 2008م، ص102.

[59]_ الأزهر الزناد، نسيج النّص، ص 124.

[60]_ ينظر: فايز أحمد محمد الكرمي، تحليل البنية النصية من منظور علم لغة النص، دراسة في العلاقة بين المفهوم والدلالة في الدرس اللغوي الحديث، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 25 سبتمبر 2011 ص 220، 221.

[61]_ محمد القوجيلي: قاضي المالكية في زمانه، وأحد أبرز شعراء القرن الحادي عشر هجري، عالج في قصائده أغراضا كثيرة كالغزل والمدح، وقد نقل بعضها في ديوان أحمد بن علي توفي عام 1080هـ. ينظر: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998م، ج2، ص 292-293

[62]_ ينظر: أحمد بن عمار المفتي، مختارات مجهولة من الشعر العربي، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، دط، الجزائر، 1991م، ص 131-132

[63]_ ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص46.

[64]_المرجع نفسه، ص 60.

[65]_ينظر: المرجع نفسه، ص 60.

6. المراجع:

الكتب:

1. ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب وصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 1999، ج.11، ص 184.
2. أحمد بن عمار المفتي، مختارات مجهولة من الشعر العربي، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، ط2، الجزائر، 1991م، ص 131-132.
3. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، د ط، د ت، ص: 12-13
4. ادوارد بليرت، مقدمة في دراسة الكلام، المنصف عاشور سلسلة مسائلات، دار العربية للكتاب، (د.ط)، 1995م، ج1 ص 52.

5. الأزهر الزناد، نسيج النّص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993م، ص131-132.
6. الأزهر الزناد، نسيج النّص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993م، ص131-132.
7. براون جوليان وجورج يول، تحليل الخطاب، تر و تع د.محمد لطفي الزليطني و د.منير التريكي، النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، دط، 1997م، ص 23.
8. بريكنر كلاوس، التحليل اللغوي للنص، تر و تع سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة مصر، ط1، 1425هـ 2005م، ص 34.
9. بريكنر كلاوس، التحليل اللغوي للنص، تر و تع سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة مصر، ط1، 1425هـ 2005م، ص 34.
10. الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، مر: محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكرياء أحمد جابر، دار الحديث، دط، القاهرة، 2009، ص 1080.
11. خوسيه ماريا بوتويلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر حامد أبو أحمد، مكتبة غريب مصدر رقم، د.ط، د.ت، رقم الإيداع 92/3781 ص 213.
12. روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسن، عالم الكتب القاهرة : 10، 1418هـ-1998م، ص 103.
13. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس، تح مصطفى حجازي، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام بالكويت، دط، مطبعة حكومة الكويت، 1993م، مادة (مسك)، ج27، ص 337-338.
14. الزمخشري أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1998م، ج2، مادة(مسك) ض 213-214.
15. الزمخشري أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في صور التأويل، شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، د.ط، ج1، ص126،127.
16. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998م، ج2، ص 292-293.
17. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1431هـ-2001م، ج1، ص 95
18. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب عالم المعرفة الكويت، 1978 – (د.ط) ص 235.
19. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف مصر، دط، 1991، ص217-218.

20. عثمان أبو زيد، نحو النص ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديثة، (د.ط)، 2009م، الأردن، ص 79.
21. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تق سليمان العطار، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 1430هـ 2009م، ص: 176.
22. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، (د.ط)، 2008م، ص : 81-82.
23. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1991م، ص 05.
24. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، ط1، عمان الأردن، 2009م، ص 81.

المقالات:

1. بشير ايدير، استراتيجية الانسجام في قراءة النص الأدبي قصة سميرة عزام دموع البيع نموذجا، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة الجزائر، (مقال مخطوط) ص 03.
2. سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مح 10-ع-1-2 جويلية 1991م، ص 154.
3. فايز أحمد محمد الكرمي، تحليل البنية النصية من منظور علم لغة النص، دراسة في العلاقة بين المفهوم والدلالة في الدرس اللغوي الحديث، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 25 سبتمبر 2011 ص 220، 221.
4. نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق الترابط في النّصّ القرآنيّ، دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، مج13، ع01، 2001م، ص 1069.
5. نزار ميلود، نحو نظرية عربيّة للإحالة الضّميرية –دراسة تأصيليّة تأويليّة، مجلّة علوم إنسانيّة، مج7، ع42، 2009م، ص56.

الأطروحات الجامعية:

محمود سليمان حسين الهواوشة، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف، رسالة ماجستير، إشراف ديفايز محاسنة، جامعة مؤتة: 2008م، ص102.

المراجع الأجنبية:

1. David Crystal, The Dictionary of Linguistics And Phonetics, Blackwell Publishig, Malden-USA, Sixth Edition, 2008, page : 407.
2. Uilfrid Rotge Le point sur la cohesion en Anglais, English linguistics, Sigma, English Linguistics, Anglophinia press Universitaires du Mirail, no2, 1998, P 187.